وعليه السندس وفي رواية فقد رأيته في المنام وعليه ثياب بيض وأحسبه أي أظنه لو كان من أهل
النار لم تكن عليه بيض. أقول مجموع الروايات الثلاث أنه لم يره في الجنة فقد تقدم أن
الرؤية وأما الروايات الثلاث فلا تخالف الروايات الأولى لأن السندس من أفراد
الحرير فلعله لا دلالة في ذلك على التعدد والله أعلم. وفي رواية لا تسبوا ورقة فإني
رأيت له جنة أو جنتين لأنه آمن بي وصدقني أي قبل الدعوة التي هي الرسالة ولا
مانع أن يكون بعض أهل الفترة من أهل الجنة إذ لو كان مسلما حقيقة بأن أدرك الدعوة
وصدق به لم يقل فيه صلى الله عليه وسلم وأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب
بيض. وجزم ابن كثير بإسلامه قال بعضهم وهو الراجح عندها بقية الأئمة أي بناء
على أنه أدرك الدعوة إلى الله تعالى التي هي الرسالة ففي الإمتاع أن ورقة مات
في السنة الرابعة من المبعث ويوافقه ما يأتي عن سيرة ابن إسحاق ومن كتاب
الخميس وحينئذ يكون قوله صلى الله عليه وسلم لأنه آمن بي وصدقني واضحا ويأتي عن
الذهبي ما يخالف ذلك ويخالف أيضا ما تقدم من سبط ابن الجوزي أنه من أهل الفترة ومن
يحيى بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله يعني عن ابتداء الوحي فقال لا أحدثك إلا
ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت
فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فنظرت عن يساري فلم أر شيئا فنظرت من خلفي
فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا بين السماء والأرض وفي رواية فإذا الملك الذي
جاءني بحراء جالس على كرسي زاد في رواية متربعا عليه وفي لفظ على عرش بين السماء
والأرض فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثروني وفي رواية زملوني زملوني
وصبوا علي ماء باردا فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر
أي المتلفف بثيابه قم فأنذر وربك فكبر ولم يقل بعد فأنذر وبشر لأنه كان
بعث بالنذارة بعث بالبشارة لأن البشارة إنما تكون لمن آمن ولم يكن أحد
آمن قبل وهذا يدل على أن هذه الآية أول ما نزل أي قبل اقرأ وأن النبوة
والرسالة مقترنتان قال الإمام النووي القول بأن أول ما نزل يا أيها
المدثر ضعيف باطل وإنما نزلت بعد فترة الوحي أي وإنما يدل على ذلك قوله
فإذا الملك الذي جاءني بحراء [illegible] روايتان واحدة في ابتداء
الوحي وأخرى في فترة الوحي وبعض الرواة خلط وسيأتي الجمع بين الروايات
في أول ما نزل. وعن إسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير أنه حدث عن خديجة رضي الله
عنها

١٧٩

عنها أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي
يأتيك إذا جاءك قال نعم أي وذلك قبل أن يأتيه بالقرآن أي بشيء منه وهو اقرأ
باسم ربك بناء على أن أول ما نزل فجاءه جبريل فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا خديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فألقت خمارها
ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن
عم اثبت وأبشر والله إنه لملك ما هذا بشيطان وإلى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله
وأتاه في بيتها جبريل. ولذي اللب في الأمور ارتياء. فأماطت عنها الخمار لتدري
أهو الوحي أم هو الإغماء. فاختفى عند كشفها الرأس. جبريل فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنز. الذي حاولته والكيمياء.
أي وأتاه قال ابن حجر أي بعد البعثة أي النبوة واجتماعه به في بيتها حامل
الوحي جبريل ولذي لصاحب العقل الكامل في الأحوال التي قد تشتبه استبصار بسبب
كان استبصارها أزالت عن رأسها الخمار أي ما يغطى به الرأس لتعلم علم اليقين أن
هذا الذي يعرض له صلى الله عليه وسلم هل هو حامل الوحي الذي كان يأتي به
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيلزم أم هو الإغماء الذي هو بعض الأمراض الجائزة
عليهم عليهم الصلاة والسلام وفيه أنه ينبغي أن يكون المراد الإغماء الناشئ عن لمة الجن
فيكون من الكهانة لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذي قال [illegible]
لتذهب على النبي وسيأتي أنه كان يعتريه وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن
ما كان يعتريه عند نزول الوحي من الإغماء فبسبب أن [illegible] ما يغطى به رأسها عنها
اختفى الذي كان [illegible] عليه فاستبانت أي علمت علم اليقين أن ما يعرض
له صلى الله عليه وسلم هو الوحي أي لا الجني لأن الملك لا يرى الرأس المكشوف
من المرأة بخلاف الجني وشبه الناظم ذلك بالشيء النفيس والأمر العظيم الذي يحصل
من الكنز والكيمياء لا يظفر به إلا القليل من الناس لعزتهما أقول قول بعضهم إن ذلك
من خديجة كان بإرشاد من ورقة فإنه قال لها اذهبي إلى المكان الذي رأى فيه ما رأى
فإذا رآه فتحسري فإن يكن من عند الله لا يراه أي [illegible] وهو في بيت خديجة
ففعلت قالت فلما تحسرت تغيب جبريل فلم يره فرجعت فأخبرت ورقة فقال إنه
ليأتيه الناموس الأكبر. ونقل بعضهم عن الحافظ ابن حجر أنه في الإصابة تردد في
Copyright © King Saud University
Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)